مركز مجتمع الدراسات الثقافية والتاريخية

حلقة نقاش بعنوان:-

نقد السردية التوراتية

عمان – الأردن

16/9/2024 – 13

قراءة وتعقيب على ورقة د. عباس يونس العيدي، والموسومة بـ:

تناقض النظم الأخلاقية – السلوكية بين أسفار موسى والأسفار اليهودية

نص د. عدنان ملحم

جامعة النجاح الوطنية

نابلس – فلسطين

2024

التوراة أو العهد القديم خلطة دسمة من الحكايات و القصص والأساطير والأحداث والنصوص التي تسجل تاريخ بني إسرائيل منذ بدء الخليقة حتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ويعتقد الباحثون أن الانتهاء من عملية تحريرها المتواصلة تمت في الفترة الممتدة من 450 – 164 ق.م.

ويبدو واضحاً حضور حضارات وثقافات وأديان بلاد الرافدين (السومرية والبابلية والآشورية) والشام (الكنعانية والفينيقية والآرامية) وإيران القديمة (الزرادشتية والمازدكية والمانوية) ومصر القديمة، والأناضول (الحيثية والليدية) واليونان القديمة وشبه الجزيرة العربية، طاغياً في مكوناتها. كما يمكن رصد تأثير هذه المصادر على مسيرة بين إسرائيل: قبليا ودينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا.

ويتفق معظم علماء اللغويات والنصوص والتاريخ والجغرافيا والآثار على أن التوراة أو "العهد القديم" هي نتائج عمليات طويلة من التطور والتفاعل والتغيير.

وشهدت الساحة العلمية والفكرية أبحاثاً جادة عن علاقة "شعب الله المختار" مع بلاد كنعان، وانتقدت تفاصيلها ونصوصها وتواريخها، وقدم علماء كبار مثل فاضل الربيعي وكمال الصليبي نظريات مكتملة أثبتوا من خلالها أن مسرح الرواية اليهودية الدينية والتاريخية هو شبه جزيرة العرب، وليس فلسطين، واتهموا صناع الاستشراق الأوروبي الحديث والمعاصر بأنهم يقفون وراء هذا التزوير لأسباب عقائدية واستعمارية خالصة (1).

يتطلب البحث في مواضيع مختارة تناولتها التوراة أو "العهد القديم"، قراءات ودراسات معمقة عما أسلفت، لأن النص مهما كان شكله ونوعه هو نتاج تفاعل ما بين المكان والزمان والإنسان، ولذا فإن التعامل معه بصيغة الكمال والثقة سيؤدي حتماً إلى نتائج ونهايات غير دقيقة أبداً، كما أن إقتطاع روايات بعينها دون أخرى، سيرسم لوحات تاريخية ونقدية غير صحيحة.

اطلعت على مساهمة الدكتور عباس يونس العبيدي والموسومة بـ "تناقض النظم الأخلاقية – السلوكية بين أسفار موسى والأسفار اليهودية" وأود بعد الإشادة بجهده الكبير أن أسجل الملاحظات التالية:

أولاً: تعامل الباحث مع الروايات التوراتية التي اعتمد عليها بعيداً عن عمقها التاريخي والجغرافي والأثري واللغوي والنصي والنقدي المقارن، ولم يدرسها في حاضنتها المكانية والزمانية.

ثانياً: تمترس أو تمركز الباحث خلف حقيقة شبه ثابتة تؤكد أن أسفار موسى بن عمران الخمسة: (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) كتبها شخصياً وتعبّر عن كنه وجوهر الشريعة الموسوية الحقّة، لم تمسها قوى التزوير والتحريف أبداً، عكس الأسفار والنصوص التوراتية الأخرى.

ثالثاً: اعتبر الباحث أن هدف جميع النصوص التوراتية بمختلف مناهلها هو نشر التسامح والمحبة والعفو، وأن أية نصوص أخرى خرجت عن هذا المسار أو الهدف، قد جرى أو تم تزويرها أو تحريفها أو عدم فهم مراميها من قبل الرواة أو السّراد أو النساخ، ولم يقدم تفسيراً مقنعاً لدموية تاريخ بني إسرائيل المروي أو المزعوم كما أوردته إصحاحات التوراة المختلفة، وعن سبب سلوكهم الفعلي المخالف – حسب رؤيته- مع جوهر التعاليم اليهودية السمحة.

رابعاً: يرى الباحث أن الكثير من الروايات التوراتية التي تضم في تفاصيلها العنف أو القتل و الدمار تحمل في مضامينها دروساً إلهية عن الصبر والحكمة والتربية والتعليم.

خامساً: أمن الباحث أن الروايات التوراتية التي تتحدث عن عنف ودموية الرب (يهوه) والآباء الأوائل والأنبياء هي صناعة يهودية بشرية، ولم يقدم قراءة نصية أو نقدية لسبب وظروف دخولها إلى النص التوراتي، وسعى جاهداً لتبريرها أو الدفاع عن رموزها دون دليل مقنع أو واقعي.

سادساً: لم يناقش الباحث بعمق النصوص التوراتية التي تناولت وعود الرب (يهوه) لبني إسرائيل "بأرض الميعاد" وتفصيل صراعمهم مع القبائل التي كانت تمتلكها أو تسكن على جوانب الطرق المؤدية إليها أو حولها، باعتبار أن قتلهم وطردهم وسحقهم دون وجه حق وتعدّ فعلي من قبلهم على "شعب الله المختار"، هو خرق للسلوك الأخلاقي الموسوي.

سابعاً: تبني الباحث الرؤية الدينية اليهودية والمسيحية للنصوص التوراتية في سعية لعرض وجهة نظره عن البعد الأخلاقي والسلوكي لمضامينها، وسعى لتقديم تبريرات وتفسيرات لأي نص يتضمن تفاصيل عكس ذلك، وتجاهل بشكل كامل الرواية الدينية الإسلامية عنها.

ثامناً: اعتقد أن الباحث لم يقدم نقداً كافياً أو عرضاً معمقاً حول العنف والقتل والدم في الروايات التوراتية وتأثيرها على العقلية والسلوك اليهودي، يتناسب مع حجم ما حشده من صور وتفسيرات عن التسامح والمحبة في دواخلها، كما أن صورة الضحايا بمختلف مسمياتهم ظلت خارج إطار التعاطف أو الفهم الكافي.

تاسعاً: السلطة والجنس والمال هي محركات العنف الأساس داخل الرواية التوراتية، وأظن ان الباحث لم يتعمق في دراستها ولم ينجح في ربطها بالإطار العقائدي والقبلي اليهودي، وخاصة أن معظم أحداث التاريخ تدور في فلكتها.

أسفار التوراة الخمسة: (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والنتنية) وأطلق عليها أيضاً اسم أسفار موسى ونسبت إليه وأكد التراث اليهودي بأنه من تلقاها من الرب وكتبها شخصياً، ويرى الكثير من العلماء والمفكرين والباحثين بان لا صلة له بها وأنها كتبت بعده بفترات طويلة على يد مجموعة من المؤلفين.

يعتبر سفر التكوين العمود الأساس للكتاب المقدس كله، وهو نص روحاني سلمي، هدفه ربط الفرد بالسماء وترسيخ المنهج الإنساني الاجتماعي المتسامح والمتعاون، ويُعني بالقيم الأخلاقية البسيطة الموازية للبنى التحتية للمجتمع، ويقدم المصدر والتفسير المبدئي لجميع العقائد الكتابية الرئيسية.

ويُعد خارطة أخلاقية هدفها صناعة أركان وأسس السلام والتسامح والعتف والأمن الاجتماعي العام وحل الصراعات بين العشائر المختلفة وتفهم أخطاء الآخرين وبواعثهم والحيلولة دون اشتعال الحروب بينها. وتعتمد محركات هذا السفر بشكل تام على القدرات المطلقة للإله الواحد الأحد (يهوه)، وتحكمه بكل شيء يحدث في الكون.

وللدلالة على هذا التحليل عرض الباحث ستة نصوص من سفر التكوين وصنفها ضمن مسارين أخلاقيين وسلوكيين اثنين هما:

أولاً: الحسم الدموي العنيف وتمثل في تفاصيل قصة قتل قابيل لأخيه هابيل (2) وهجوم إبراهيم على ممتلكات ملك عيلام كدر لعومر، لتحرير ابن أخيه لوط (3) وانتقام أبناء يعقوب من شكيم بن حمور الحوي وعائلته ومناطق اقامته بسبب سببه لأختهم دينة بنت يعقوب (4).

وقد اعتبر الباحث هذه الأحداث خارجة عن سياق الواقع الزماني والشخصي والاجتماعي الذي حدثت فيه، وعد حادثة قتل قابيل لأخيه هابيل صراعاً رمزياً فردياً، وحرب إبراهيم مع كدر لعومر منافية ومعارضة لمكونات شخصية النبي المسالم، ومجزرة أبناء يعقوب ضد شكيم بن حمور الحوي خروجاً عن نظام عشيرة الأمومة، وعدم قدرة على فهم مسيرة النضوج المستمر للأحكام والشرائع والتحريمات التي صنفت وتحكمت في علاقة الأفراد بالله والمجتمع.

وحسم الباحث وجهة نظره تجاه قصص هذا المسار ورأى بأنها تتناقض مع عصر الآباء، واحداث سفر التكوين الذي تتحكم فيه قيم العفو والتسامح، ولذا فهي دخيلة على وقائع هذا السفر ونسبت أو أضيفت إليه لاحقاً على أيدي النساخ الذين فشلوا في دراسة ومعرفة تاريخية الحدث من خلال تحليل تفاصيله وربطها بالمكان والزمان والأبطال.

ثانياً: الحسم الأخلاقي الذي ختم قصص الخلافات بين إبراهيم و أبيمالك ملك الفلسطينيين حول سبي الأخيرة لسارة زوجة الأول وإعادتها له معززة مكرمة(5) وبين يعقوب وأخيه عيسو حول أموال وممتلكات أبيهم (6). وبين يوسف بن رحيل وإخوته الذين خضعوا لنوازعهم وغيرتهم الشخصية واضطرابهم النفسي ورغبتهم بعطف واستئثار أموال والدهم (7).

واعتبر الباحث طريق وسبل معالجة هذه الخلافات تكريس لجوهر السلوك السامي الذي يمتاز به مجتمع الآباء المؤسسين من عفو وتسامح وألفة ومحبة وسمو.

-3-

يعد سفر الخروج النص الأهم الذي يضم تفاصيل ولادة ونشأة وحياة موسى بن عمران ومراحل قيادته وزعامته لبني إسرائيل، وولادة أو تشكل مبادئ وأسس ديانته وشريعته والنظم والقوانين المنبثقة عنها، كما يعتبر الموضوع الذي رصد واقع ومضمون وعلاقات مجتمع بني إسرائيل مع المكونات السياسية والعشائرية والدينية في الأماكن التي استقروا فيها أو هاجروا إليها. ويمكن تلخيص محتويات السفر الثاني من أسفار موسى بأنه ترجمة دقيقة لخروج بني إسرائيل من أرض مصر إلى "أرض الميعاد".

استعرض الباحث قصة موسى وخروج بني إسرائيل من مصر كما أوردها سفر الخروج، ليؤكد على الحقائق التالية:

أولاً: موسى نبي ديانة جديدة وجهتها (يهوه) -إله الكون الواحد-، وترتبط جذورها عميقة مع دعوة وطقوس إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدفها إحياء الصلوات والعبادات المشتركة (8).

ثانياً: موسى نبي سلام صاحب دعوة حرية يرفض القوة والحروب والثورات والدم والقتل لم يحمل سيفاً أو رمحاً بل عصا خشبية يتوكأ عليها ويدير بها شؤونه، ولم يرغب بتسليح أفراد شعبه ودفعهم إلى الفوضى والثورة ضد مستعبيهم بل دعاهم إلى التعامل السلمي الصبور (9).

ثالثاً: لم يستخدم موسى وهارون في حوارهما وصراعهما مع فرعون سوى معجزات (يهوه) دون تحريض على العنف أو الخداع أو المراوغة، وأعلنا أمامه مراراً سعيهما إلى إقامة مجتمع عادل يخلو من العبودية والفقر والطبقية، وطلبنا منه السماح لبني إسرائيل عبادة ومخاطبة إلههم الوحيد، والخروج إلى الصحراء خوفاً أن يبتليهم ربهم بالوباء أو القتل (10).

رابعاً: لعب (يهوه) دوراً في ردع فرعون وبث الرعب في دواخله من دعوة موسى، وقتل كل حي في مصر سواء كان إنساناً أو حيواناً، ونشر الامراض والكوارث فيها لكي يسهل خروج بني إسرائيل

منها. وأغرق فرعون وجيشه في البحر لإتاحة المجال لموسى وبني إسرائيل إكمال مسيرتهم نحو "ارض الميعاد"(11).

خامساً: قام موسى بخطوات هامة لإنضاج الشريعة والأحكام الموسوية، وتنظيم عباداتها وأحكامها وإبراز المسموحات والممنوعات فيها (12).

سادساً: أدى غياب موسى عن بني إسرائيل للعبادة إلى تمرد أخيه هارون على سلطته وقيامه بصناعه إله على شكل عجل ذهبي عبده شعبه مما أغضب (يهوه) وهدد وحدة المؤمنين وقناعاتهم (13). واعتبر الباحث ان هذه الثورة أو التمرد هو فعل يتماشى مع التفاعلات القبلية داخل المجتمع الإسرائيلي هدفها سد ثغرة عدم رؤية (الإله) من جهة وغياب النبي القائد والرائد من جهة أخرى.

سابعاً: بعد خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة يوشع بن نون تصادموا مع قبائل العماليق العربية، الذي فرضوا القتال والصدام والدم على بني إسرائيل (14). واعتبر الباحث اتباع موسى غير معتدين على أحد بل هم مدافعون عن أنفسهم.

أكد الباحث من خلال تناوله للأحداث المختارة من سفر الخروج على سلمية الديانة الموسوية وحرصها على عدم الصدام مع أحد، وإذا سلك أتباعها فعلاً مناقضاً لذلك، فإنهم قد دُفعوا لذلك عنوة. وقدم موسى كرمز ديني مسالم يحرص على العفو والتسامح والحوار ويسعى لنشر دعوته بالكلمة الحسنة والخطاب الهادي، بعيداً عن السلاح بشتى أصنافه والدم والقتل بمختلف أشكاله.

وعندما يرتكب موسى أفعالاً و تصرفات عنف وقتل، يسارع الباحث لعرض تبريرات لأفعاله، ويعتبر حادثة قتل موسى -قبل أن يبعث رسولاً إلى فرعون- لرجل قبطي مصري لا يعرفه أصلاً ولا علاقة له به (15) عملاً فردياً غير مسؤول جاء رداً على شدة معاناة أبناء شعبه في مصر وتعرضهم للتكيل والسخرة والأعمال الصعبة، ويرى إصدار موسى أوامره لبني لاوي بالتخلص من جموع المتمردين على دعوته والمشاركين لأخيه هارون في صناعة وعبادة العجل الذهبي (16) عملاً مدروساً هدفه تكريس خدمة اللاويين لربهم وعقيدتهم ضارباً بعرض الحائط مقتل ثلاثة آلاف رجل منهم من الضحايا الأبرياء.

-4-

يوصف سفر اللاويين بأنه نص ديني هدفه التأكيد على الشرائع أو الأحكام أو الممارسات الطقسية والأخلاقية والقانونية التي يتوجب على بني إسرائيل اتباعها بعد انطلاق مسيرة ديانتهم الموسوية، ويهدف إلى ربط المجتمع الإسرائيلي بالواقع الجديد في جميع المجالات، ومساعدته في التحول من عصر الأمومة الى عصر الأبوة، ومن مرحلة القبلية إلى عهد القيم والقوانين والضوابط المحكمة. كما

يشكل قفزة نوعية واضحة هدفها تغيير قواعد الزواج والطهارة والكفارة والقداسة والشرائع والقرابين والكهانة، وزيادة صلة بني إسرائيل باللهم وديانتهم ومجتمعهم(17).

ويأتي إبراز الباحث لمحتويات ودلالات هذا السفر، إيماناً منه بالدور الذي لعبته نصوصه في إعلاء القيم الأخلاقية داخل المجتمع الإسرائيلي، وتوجيهها أفراده نحو أسس المحبة والتسامح والانضباط، والالتزام بأحكام الجزاء وطقوس الديانة الموسوية الجديدة المختلفة.

وغاب عن الباحث الربط بين الصراع المحتدم داخل المؤسسات الدينية والعشائرية أو الدنيوية حول فهم المتغيرات السلوكية والمجتمعية التي تمت داخل المجتمع الإسرائيلي، الأمر الذي أدى إلى الردة العقائدية، وهذا ما فسرتة الحوارات بين الملك يوشيا بن آمون، وجمهور الكهنة والكتّاب من أركان حكمه وسلطته، وربما كان السبب الحقيقي وراء ترك أو تغييب أو ضياع نصوص هذا السفر الهام وقتاً طويلاً(18).

-5-

نظر إلى سفر العدد بأنه قراءة لواقع وإمكانيات بني إسرائيل أثناء مكوثهم في صحراء سيناء، وقبل إستيلائهم أو وصولهم إلى "أرض الميعاد"، وهو محاولة لدراسة وحدة المجتمع الإسرائيلي وعلاقات مكوناته بعضها ببعض وصلاتهما بالإله (يهوه) والنبي موسى على حد سواء.

استقطع الباحث ثلاث قصص عاشها موسى في مسيرته الصعبة مع شعبه، برزت فيها مكونات شخصيته المتميزة بالتسامح والمحبة والألفة.

أولها: بعد أن تزوج موسى امرأة كوثية، احتجت اخته مريم على ذلك، وحرضت أخاها هارون عليه، فعاقبها (يهوه) بالبرص، فتوسل موسى الإله أن يصفح عنها ويسامحها ويرأف بها ويشفيها ففعل ذلك(19) وعلل الباحث تصرف مريم بأنه ناجم عن احتجاجها على التغييرات التي أحدثتها القوانين الموسوية على شروط الزواج داخل المجتمع الإسرائيلي.

وثانيها: عندما تمرد جزء من الشعب الإسرائيلي على موسى وطالبه بأمر حياتية ودينية تبتعد عن جوهر دعوته، أراد (يهوه) معاقبتهم بقوة، لكن نبيهم الرحيم الحليم ناشده ألا يفعل ذلك وأن يسامحهم فتم له ما طلب(20).

أرسل موسى مجموعة من رؤساء بني إسرائيل لإستطلاع أحوال أرض كنعان بهدف الإنقال إليها، إلا أنهم أوصوه عدم فعل ذلك بسبب إستقرار شعب العمالقة الجبار القوي المقاتل فيها، وانتشار المدن الخصبية الحصينة على أراضيها، وانقسم بنو إسرائيل بين دعاة العودة الى مصر أو المسير إلى

"أرض اللبن والعسل"، و غضب (يهوه) غضباً شديداً، وأراد إنزال وباء عليهم يجتثهم من الحياة، إلا أن موسى ناشده الرحمة وغفران ما ارتكبه شعبه، فاستجاب لما طلب (21).

وأشار الباحث إلى سياسة التسامح التي اتبعتها موسى مع العشائر التي صادفها بنو إسرائيل في طريق مسيرتهم إلى أرض كنعان، رغم موقفهم المعادي لأسباب عقائدية وتحالفات متضاربة، واضطر موسى إلى إصدار الأوامر لشعبه من أجل السيطرة على أراضي القبائل المعادية وقتالها من أجل تحقيق هدفه الأساس الوصول إلى "أرض الميعاد" (22).

ومن المثير للانتباه تجنب الباحث الحديث عن أرض كنعان ووعد (يهوه) لبني إسرائيل بامتلاكها أو العودة إليها ومناقشة ودراسة وتحليل هذه النقطة من جميع الجوانب، وربما من باب تعارضها مع عنوان بحثه الموسوم بالتسامح والعفو في الديانة الموسوية لأن سحق وقتال القبائل الأخرى دون وجه حق وصدام فعلي هو عمل دموي وغير أخلاقي أصلاً

-6-

أسفار الأنبياء مجموعة من القصص والأحاديث الدينية والتاريخية والأدبية ترصد واقع بني إسرائيل في فترات مختلفة تم تناقلها عبر الأجيال المتعاقبة ويعتقد بأنها كتبت في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وتزخر بمظاهر العنف والقتل والاعتقال والاعتصام والصراع والانقسام وحرق المدن وتهجير السكان الآخرين من مناطقهم، وتقسّم إلى مجموعتين الأولى: الأنبياء الكبار وتشمل أسفار يوشع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، والثانية: الأنبياء الأواخر وتضم أسفار أشعيا وأرميا وحزقيال، وأسفار الأنبياء الصغار وهم: اثنا عشر نبياً وهم: هوشع ويوثيل وعاموس وعوبيديا ويونان وميخا وناحوم وحبوق وصنفياء وحجي وزكريا وملاخي.

اختار الباحث تسع حكايا من مجموعة أسفار الأنبياء الكبار ليستعرض واقع بني إسرائيل وظروف تطور رؤيتهم الدينية والسياسية والاجتماعية.

أولها: دخول خليفة موسى يوشع بن نون (أريحو) مع بني إسرائيل وأبادوا جميع سكانها وأحرقوا ودمروا مكوناتها وسلبوا كل ثمين فيها من ذهب وفضه وأودعوه خزائن (يهوه) وهتفوا ورقصوا على أنقاض المدينة ولعن قائدهم كل من سيقوم لاحقاً باحياء أي جزء منها لدورها في الشرور. ويعد سقوط أريحا أول نصر لنبي إسرائيل في المنطقة، وأشرف الرب (يهوه) على مراحل حصارها وإحتلالها وبشر يشوع بن نون بالنصر (23).

ثانيها: هاجم جيش بني إسرائيل بقيادة يشوع بن نون مدينة عاي الواقعة غرب (أريحو) وأباد سكانها وأحرقها وصلب ومثّل بأجساد قتلاها وفي مقدمتهم ملكها وتم ذلك بدعم وتخطيط وإشراف وتوجيه من (يهوه) وهو درس هام لبني إسرائيل بأن الثقة فيه ستؤدي حتماً إلى النصر. وأراد إكرام جيش بني

إسرائيل وتوزيع الغنائم التي نهبها عليهم، جراء إخلاصهم ومجهودهم واستعدادهم المتواصل للدفاع عن عقيدتهم(24).

ثالثها: هزم جيش بني إسرائيل بتشجيع من القاضية والنبية والشاعرة دبورة بقيادة زوجها باراق ابن أبنوعم الجيش الكنعاني في معركة جبل طابور بقيادة سيسرا -قائد جيش يابين ملك كنعان- وهرب الأخير الى سهل صعنيم في جنوب البلاد واختبأ عند ياعيل زوجة جابر القيني، فأسفته الحليب المسموم وهشمت رأسه بوتد خيمتها (25)، واعتبر عمل القاتلة عملاً بطولياً جاء تنفيذاً لإرادة (يهوه) في التخلص من أعداء بني إسرائيل.

رابعها: أذاق المديانيون الذين امتدت أراضيهم من خليج ايلوت الى مؤاب وطور سيناء بني إسرائيل الذل والهوان، فحث ملاك الرب (يهوه) الشاب جدعون بن يوأش الأبيعزري من بلدة عفرة على قيادة جيش بني إسرائيل وهزيمة الأعداء فتم ذلك، وانتصر عليهم، إلا أنه بعد ذلك صنع صنماً لقومه عبده وتركوا عبادة ربهم (26)، ويبدو أن ذلك يتوافق مع محاولات عديدة لأنبياء وملوك وكهان بني إسرائيل لإشراك آلهة مختلفة مع الرب (يهوه) وهو تجاوز خطير لأسس الديانة الموسوية التي وضعت أصولها في عهد موسى وهارون.

خامسها: أنجب القاضي جدعون بن يوأش سبعين ولداً أحدهم يدعى أبيمالك بن يربعل ابن أمة من شكيم، فحرض الأخير أخواله لقتل إخوته ليتسنى له تزعم عشيرته، فتم له ذلك (27)، وأظهرت القصة عدم وفاء بني إسرائيل لصانع أبرز انتصاراتهم ضد المديانيين جدعون بن يوأش والد القتلى والقاتل.

سادسها: نذر فيفتاح الجلعادي من سبط منسى أحد شخصيات بني إسرائيل العائد من جبهة الحرب منتصراً على بني عمون تقديم أول من يخرج من باب بيته لاستقباله هبة للرب (يهوه) فخرجت ابنته الوحيدة فأوفى بنذره وقام بإحراقها مستسلمة لإرادته ورغبته (28)، ويبدو أن الرب وافق على هذا النذر، ولو لم يرغب لأوقفه، كما فعل في حادثة نذر إبراهيم الخليل ذبح فلذة كبده إسحاق كدلالة واضحة على عدم قبوله الذبائح البشرية، على عكس القصة التي يناقشها هذا النص. وربما يثبت ذلك التدخل البشري في تحرير التوراة لتعبر عن عقلية وظروف المرحلة التي صنفت القصص فيها.

سابعها: اغتصبت وقتلت مجموعة من رجالات سبط بنيامين سرية لأحد أبناء سبط لاوي عندما كانا في ضيافة أحد أفرادها فقطع المكلم جثة الضحية ووزعها في مختلف أنحاء البلاد ليحكم الناس في قضيتها، فاجتمع رجالات أسباط بني إسرائيل وطالبوا زعامات سبط بنيامين تسليم الجناة الأشرار فرفضوا، فاندلعت الحرب بينهما. وأدار (يهوه) المعارك بنفسه، ومنح النصر لسبط الجناة مرتين ثم هزمهم في الجولة الثالثة، وسمح لأسباط بني إسرائيل قتل جموع سبط بنيامين وحرق وتدمير مدنهم وبيوتهم (29).

ثامنها: انتهى داود ملك بني إسرائيل بثشبع بن أليعام امرأة أحد قادة جيشه البارزين ويدعى أوريا الحثي، فضاجعها وحملت منه، وأرسل زوجها الى جبهات القتال المتقدمة بهدف التخلص منه فقتل في عملية إغتيال صريحة. وقام (يهوه) بإنهاء حياة الطفل عند ولادته عقاباً لداود على فعلته الشنعاء وسلط ابنه أمنون ليضاجع إحدى شقيقاته وتدعى ثامار، فقتله أحد إخوتها ويدعى أبشالوم، وانشق عن والده ونسبت بينهما حروب وعداوات طويلة، وتدخل (يهوه) مرة أخرى وقتل انشالوم عقاباً له على تمرده على أبيه(30).

وتقدم القصة صورة زعيم إسرائيل الذي لا يتمتع بأي خلق ولا انضباط ولا مسؤولية، كما تعكس تصرفات (يهوه) المضطربة فهو يأمر بتنفيذ عقوبات غير منطقية وظالمة لا تتماشى مع مكانته.

تاسعها: رفع (يهوه) من مكانة عشيقه داود وزوجها منه وانجبت غلاماً شرعياً يدعى سليمان، أصبح فيما بعد ثالث ملوك بني إسرائيل الأوائل الأقوياء البارزين، وقد عاش المذكور حياة ترف ونساء تجاوزت الحد الذي أحاط بوالده وابتعد شعبه عن دعوة موسى كثيراً، مما حدا بـ (يهوه) الى معاقبة بني إسرائيل وقسم مملكتهم إلى قسمين: مملكة يهودا ومملكة إسرائيل، فهل اختلقت القصة لتبرير هذا الانقسام التاريخي؟ (31).

والسؤال الذي يطرح نفسه، ماذا أراد الباحث أن يقول من وراء إختياره وعرضه لمثل هذه القصص المنتقاة من أسفار الأنبياء؟

لا تعبر هذه الحكايا عن جوهر الشريعة الموسوية السمحاء، بل تعارضها بشكل واضح، كما أنها تناقض الأسس والقواعد التي أوردها موسى في أسفاره الخمسة أولى.

وتعكس هذه القصص حالة الانقسام والتشردم والتردي في دواخل بني إسرائيل وسيطرة تراث المجتمعات والقبائل المحيطة عليهم، الأمر الذي أدى إلى انحراف شامل عندهم في جميع المجالات.

وتعد تفاصيل القتل والدم والعنف الواردة في متنها بعيدة عن أخلاق وقيم الدعوة الموسوية ولا عن سلوك وأخلاق بني إسرائيل.

إن جهل سُرَاد هذه القصص لمكونات الشريعة الموسوية وعدم إلمامهم بأسفار موسى الخمسة الأولى، هو أحد الأسباب وراء ظهورها في أسفار القضاة.

يريد الباحث التأكيد مجدداً على أن الديانة الموسوية هي منبع سلام ومحبة ووئام وعفو، وإذا ظهر منها غير ذلك فهو دخيل عليها ولا يعبر عنها.

هوامش:

- (1) انظر:
1. زياد منى، جغرافية التوراة: مصر وبنو اسرائيل في عسير، رياض الريس للكتب والنشر، (لندن – بريطانيا)، ط1، 1994.
 2. شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، (لندن – بريطانيا)، ط1، 1991.
 3. شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة سعيد عياش، مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (رام الله – فلسطين)، ط2، 2013.
 4. فاضل الربيعي، فلسطين المخيلة، أرض التوراة في اليمن القديم، مجلدان: الأول، دار الفكر (دمشق – سوريا)، ط1، 2008. الثاني، دار الفكر (دمشق – سوريا)، ط1، 2010.
 5. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت – لبنان)، ط5، 1994.
 6. كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهندي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة رقم 249 (الكويت – الكويت)، ط1، 1999.
 7. محمد جدوع، كنعانياً بين الأسفار التوراتية والسرديات الصهيونية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق – سوريا)، ط1، 2009.
- (2) التكوين، الإصحاح 4، آية (16-1).
- (3) التكوين، الإصحاح 14، آية (24-1).
- (4) التكوين، الإصحاح 34، آية (31-1).
- (5) التكوين، الإصحاح 20، آية (18-1).
- (6) التكوين، الإصحاح 25، آية (34-19)، و26، آية (35 – 1)، و27، آية (46 – 1)، و28، آية (9 - 1)، و32، آية (21 – 1)، و33 آية، (20-1).
- (7) التكوين، الإصحاح 37، آية (36 – 1).
- (8) الخروج، الإصحاح 3، آية (7 - 6)، و4، آية (5)، و6، آية (1 - 50).
- (9) الخروج، الإصحاح 4، آية (4-1)، (9 - 6).
- (10) الخروج، الإصحاح 5، آية (5-1).
- (11) الخروج، الإصحاح 6، آية (13-1)، و7، آية (25 – 14)، و8، آية (15 – 1)، و9، آية (35 - 1)، و10، آية (29 – 1)، و7، آية (18-1)، و14، آية (15 – 31).
- (12) الخروج، الإصحاح 20، آية (17-1)، و21، آية (26 – 1)، و22، آية (31 – 1)، و23، آية (33 - 1)، و24، آية (18 – 3).
- (13) الخروج، الإصحاح 32، آية (35-1).
- (14) الخروج، الإصحاح 17، آية (16-8).
- (15) الخروج، الإصحاح 2، آية (15-11).
- (16) الخروج، الإصحاح 32، آية (29-27).
- (17) اللاويين، الإصحاح 12، آية (27-1)، و13، آية (46-1).
- (18) الملوك الثاني، الإصحاح 22، آية (20-1) و 23، آية (30-1).
- (19) العدد، الإصحاح 12، آية (27-1).
- (20) العدد، الإصحاح 15، الآية (31-1).
- (21) العدد، الإصحاح 13، الآية (33-1)، و14، آية (45-1).

- (22) العدد، الإصحاح 13، الآية (33-26)، و21، آية (3-1، 10-19، 24 - 35)، و22، آية (41-1).
- (23) يشوع، الإصحاح 5، آية (15-1)، و6، آية (27-1).
- (24) يشوع، الإصحاح 8، آية (29-1).
- (25) القضاة، الإصحاح 4، آية (24 - 1).
- (26) القضاة، الإصحاح 6، آية (40 - 1)، و7 (25-1).
- (27) القضاة، الإصحاح 9، آية (57-1).
- (28) القضاة، الإصحاح 11، آية (40 - 1).
- (29) القضاة، الإصحاح 19، آية (30 - 1)، و20، آية (48-1) و21، آية (25-1).
- (30) صموئيل الثاني، الإصحاح 11، آية (27 - 1)، و12، آية (31-1) و13، آية (39 - 1).
- (31) الملوك الأول، الإصحاح 1، آية (53-28)، و2، آية (46-1)، و3، آية (27-1)، و11، آية (40-1)، و12، آية (24-1).